

آليات فهم مقاصد الخطاب وبناء المعنى

د. سيد أحمد محمد عبد الله *

المركز الجامعي آفلو، m.sidahmed@cu-aflou.edu.dz

النشر: 2026/06/01

القبول: 2026/04/12

الإرسال: 2026/01/23

الملخص:

إنَّ لقصد الخطاب تأثيرا كبيرا في توجيه الدلالة وتحديدها ، على الرغم من الاختلاف الذي يعمل على بلورة المعنى وتوجيه فهمه ، دون الاكتفاء بظاهر الألفاظ . فإذا تعددت دلالات اللفظ أو تعددت أوجه الفهم ، فإن المقصد يساعد على ترجيح المعنى الذي ينسجم مع الغاية العامة ، وهكذا تسهم المقاربة التداولية على رؤى وتفسيرات مختلفة للتصوُّص ، فهي تدرس اللغة انطلاقا من حقيقة استعمالها إذ أنَّ عملية إنتاج اللغة هي ناتج تكلم لغة ، يقوم المتلقي بتحليل مكونات الخطاب اللغوي ليس بالاعتماد على مجاله المعجمي فحسب ، بل بالارتكاز على سياق إنتاجه وآليات أخرى تتكاتف لتحديد المقاصد .

الكلمات المفتاحية: المعنى ؛ الخطاب ، القصد ، اللغة ؛ السياق .

Title: Mechanisms for understanding the intentions of discourse and constructing meaning.

Abstract: The intention behind a discourse has a significant impact on directing and defining meaning, despite the differences that shape and guide its understanding, without being satisfied with the literal meaning of the

* المؤلف المرسل .

words. If a word has multiple meanings or multiple interpretations, the intention helps to favor the meaning that aligns with the overall goal. Thus, the pragmatic approach contributes to different perspectives and interpretations of texts. It studies language based on the reality of its use, since the process of language production is the result of speaking a language. The recipient analyzes the components of the linguistic discourse not only by relying on its lexical field, but also by focusing on the context of its production and other mechanisms that work together to determine intentions .

Key words: Meaning; discourse, intention, language; context.

1- مقدمة: لا تكتفى المقاصد بالظواهر اللغوية وإهمال المعاني المتضمنة في النصوص ، فهي تمنح النص عمقاً وحكمة ، إذ يركز دور المقاصد - بوجه عام - على بلورة المعنى كما هو عند المرسل إذ يستلزم منه مراعاة كيفية التعبير عن قصده ، وانتخاب الاستراتيجية التي تتكفل بنقله مع مراعاة العناصر السياقية الأخرى⁽¹⁾ فمسألة الألفاظ ودلالاتها اللغوية الأصلية ، ليست هي المحدد الوحيد للمعاني والدلالات الشرعية ، بل لا بد من البحث عن المعنى السياقي ، فغاية اللغة الوصول إلى حكم معين ، وقد وجدت بعض الألفاظ التي ترنو بصلة إلى المنهج الاستدلالي الذي أخذ به اللغويون بعد ارتباط علوم اللسان بالمنهج البرهاني الاستدلالي وذلك نحو واجب وجائز .

إن آليات الاستدلال اللغوي في بناء المعنى وفهم مقاصد الخطاب تتمحور حول السياق ، حيث ينتقل المتلقي من المعنى الحرفي إلى المعنى المقصود من خلال ربط الألفاظ بمقاصد المتكلم في مواقف تواصلية معينة ، مستنداً إلى الفهم المشترك للمعاني وضوابط اللغة. هذه الآليات تشمل تحليل بنية الجملة ودلالات الصوت واستخدام العلامات غير اللغوية لتحقيق الهدف التواصلية

2. الآليات اللغوية والبلاغية:

1-2: السياق:

يعدّ السياق الصّورة الكليّة التي تنتظم بداخلها الصّور الجزئية فالمحيط اللغوي الذي يسبق ويلحق وحدة معينة داخل اللغة وخارجها ، إذ يتعلّق بتتابع الكلام مع مراعاة السّابق واللاحق عليه ، ويعتبر هذين المصطلحين ركنا السياق . ، فالتحليل النّصي يتخذ إجراءات منظمّة مبتدئاً بالسياق المباشر وهو السّياق النّفسي الذي يتم فيه إنتاج النّص وفهمه وإعادة تكوينه ، ممّا يجعل المشكلة الجوهرية التي يركّز فيها البحث حينئذ هي تأويل النّصوص ، وللوصول إلى هذه الغاية قامت نظريات عدّة ، أهمّها النظرية السياقية الاجتماعية التي تزعمها الإنجليزي فيرث في العصر الحديث .

ولكي تتضح مقاصد المتكلم والمعاني المطلوب إيصالها للمخاطب ، يقوم السياق في أحيان كثيرة بتحديد الدّالة المقصودة من الكلمة في جملتها ، ومن قديم أشار العلماء إلى أهمية السّياق أو المقام وتطلّبه مقالاً مخصوصاً يتلاءم معه ، فالسياق متضمّن داخل التعبير المنطوق بطريقة ما ، فتعرّضوا للعلاقة بين المتكلم وما يريد من معنى والمخاطب وما فهمه من الرسالة ، والأحوال المحيطة بالحدث الكلامي . فمعنى اللفظ يتحدّد بالسياق المتواضع عليه حال التّركيب مع غيره .

إنّ السّياق في التّداولية يتمظهر إجرائياً في العملية التخاطبية ، فهو يشمل كل المعطيات السياقية التي نحتاجها لفهم ما يجري في عملية التّواصل أو تحدّده ، وهذا يتضمن قصد المتكلم ، وأيّ محتوى غير حرفي يصدر عنه أثناء التّواصل والواقع الهادي الحاض للتواصل ، وأي شيء له تأثير على إنتاج المقولات وتبليغها وفهمها مع كونه مشتركاً بدرجة ما بين المتخاطبين ، أو قابلاً للتشارك أثناء سيرورة التخاطب .

والسياق حدث يتعلق بغايات الأشياء ويمنح القول معناه التداولي الصحيح ويسمح له أن تعدّ أفعالاً تداولية ناجعة ⁽²⁾ فعند تحليل الخطاب والبحث عن مقاصد إنتاجه لابد من الخوض في تفسيرات النّصوص فضلاً عن النّصوص نفسها ، وفي كيفية ظهورها على مستوى الممارسة في نطاق الحياة الاجتماعية ⁽³⁾ ، وبدون هذا لا يمكن التوصل إلى مقاصد الخطاب كما أراده المتكلم لأنّ المنجز اللفظي هو نتاج عوامل اجتماعية وفكرية وثقافية لها فاعليتها في تشكيل لغة الاستعمال وتداولها .

كما أنّ الكلمة لا معنى لها خارج السياق الذي ترد فيه ، وربما اتّحد المدلول واختلف المعنى طبقاً للسياق الذي قيلت فيه العبارة أو طبقاً لأحوال المتكلمين ، لأن الدّالة الإفرادية للصيغ لا اعتبار بها ومن ثم فلا اعتبار إلا بالدّالة التّركيبية وهي دلالة السّياق لا غير ، ومن ثم

يصبح السياق هو العدول الحقيقي نظراً لأنّ علاقة اللفظ بالمعنى عرفية اعتبارية ، وأنّ الدلالة الحقيقية تابعة لقصد المتكلّم ، وقصدية المتكلّم مرتبطة هي الأخرى بعلاقة اللفظ بالمعنى.

ولعلّه من المناسب تناولها عند بحث مسألة توخي الأصوليين لقصد الشارع والذي لا يتحدّد إلا بالقرائن .

2-2: القرائن اللغوية:

إن لم يلق تعريف القرينة في الاصطلاح اللغوي ، الاهتمام الكافي من لدن الباحثين فلم يتوصل أحد إلى تعريف القرينة تعريفاً مفصلاً وواضحاً ، فبعضهم عرفها بشكل عام على أنها: أمر يُشير إلى المطلوب ⁽⁴⁾ ، وبعضهم أعطاه شيئاً من الخصوصية فقال : هي ما دلّ على المراد ، من غير أن يكون صريحاً فيه جليل ⁽⁵⁾ والقرينة بشكل عام ظاهرة لفظية أو معنوية أو حالية ، يتوصل من خلالها إلى أمن اللبس الناشئ من تركيب المفردات بعضها مع بعض في سياقات متقاربة لفظاً أو معنى ، ثم يتمّ ترجيح حكم على آخر بوساطتها ، غير أنّ القرائن الدلالية ليست لفظية أو معنوية أو حالية فحسب ، بل هي عقلية أيضاً في مواضع يتوصّل بها إلى المعنى فضلاً عن أمن اللبس.

أمّا القرائن الدلالية فهي قرائن تكشف عن المعنى المراد من اللفظ ، وبيان المراد منه في النصّ ، وبذلك يكون تعريف القرائن اصطلاحاً بأنّه الدليل الذي يصاحب النصّ فيكشف معناه ، سواء أكان لغوياً أم حالياً أم عقلياً ، فالقرائن اللغوية التي يستعملها المتكلّم في سياق كلامه كعلامات هادية إلى المعنى المراد ، إنّ لم تصحّبها معرفة بالمتكلم المنشئ للخطاب ، وبالمستمع الموجّه إليه الخطاب ، وبالظروف المحيطة بالخطاب ، فحينئذ لا يمكن معرفة المراد بالتحديد من الخطاب ؛ لأنّ المعنى كلّ مرگّب من مجموعة من الوظائف اللغوية ، بالإضافة إلى سياق الحال غير اللغوي.

ويشمل سياق الحال عناصر كثيرة تتصل بالمتكلم والمخاطب والظروف الهلالية والبيئة ، ذلك أن إجلاء المعنى على المستوى المعجمي ، لا يُعطينا إلا المعنى الحرفي ، أو معنّى ظاهر النصّ ، وهو معنى فارغ من محتواه الاجتماعي والتاريخي ، منعزل عن كل ما يحيط بالنص من القرائن الحالية.

والسياق بقرائنه اللفظية يقوم بتحديد الألفاظ وتوضيح معانيها النهائية ، فالكلمات في التركيب تكتسب قيمتها من مقابلتها لما يسبقها أو يلحقها من كلمات ؛ أو ما يسمى

بالمصاحبات اللغوية ، إذ لا تتضح القيمة التعبيرية للفظة أو التركيب اللغوي بشكل نهائي إلا بتحديد علاقتها بمجاورتها لما يسبقها أو يلحقها من ألفاظ في العبارة أو في النص أو في الكتاب كله ، لأنّ الحكم "على دلالة اللفظ في نص ما أدقّ وأوثق ممّا لو استقيناه من المعاجم وحدها" (6).

2-3: التقديم والتأخير في البنية الخطابية:

التقديم والتأخير سرّ من أسرار التعبير ، يُكسب الكلام جمالاً وتأثيراً ، لأنه سبيلٌ إلى نقل المعاني في ألفاظها إلى المخاطبين ، كما هي مرتبةٌ في ذهن المتكلّم حسب أهميتها عنده فيكون الأسلوب صورةً صادقة لإحساس المتكلّم ، وصدق مشاعره .

يتمّ بناء الخطاب استناداً إلى استراتيجيات لتحقيق أغراض ، منها ربط المعنى العام للخطاب بمقصد النص ، وهي تعني الترتيب المنظم لأجزاء الكلام لتحقيق هدف معين ، وتفاعل مع المعنى لتشكيل رسالة متكاملة ومؤثرة ، حيث تتجاوز مجرد الكلمات لتشمل السياق وأدوات الإقناع والأسلوب ، ويسعى تحليلها لفهم كيف يؤثر البناء اللغوي على فهم المتلقي وتلقيه للرسالة ؟

وعلى هذا الأساس كانت المسارات الوصفية جاهزة وحاضرة لبناء النظرية النصية ، وقد كانت النظرة على نحو من العلمية والبعد من المعيارية للوصول إلى نتائج أمينة مرضية للطرفين: النصّ والباحث ومن هنا تسلّلت المبادئ والخصائص لبناء ما بات يُعرف باللسانيات النصية ، وقد امتدت الدراسات إلى عمق التاريخ في محاولة الإجابة عن التساؤلات التي أحاطت به من وجهات نظر مختلفة. في ذلك الترابط المتضامن بين كافة عناصر هذا التركيب أو ذاك (7)

3- الآليات العقلية:

3-1: الاستلزام والدلالة:

ينتقل العقل من معنى منطوق إلى معنى مستلزم وهذا أساس الاستدلال البلاغي الذي تبرز فيه العلاقة بين الدليل والمدلول. والاستلزام لا يقبل الانفصال عن المحتوى الدلالي ، أي إنّ الاستلزام الحوارى متصل بالمعنى الدلالي لما يقال ، لا بالصيغة اللغوية التي قيل فيها ، فلا ينقطع مع استبدال مفردات أو عبارات بأخرى ترادفها. وعليه فإنّ السياق يعدّ عاملاً حاسماً في تحديد دلالة اللفظ والتراكيب ، أي في صورتها التركيبية التوظيفية.

3-2: المقاصد والغاية من الاستدلال:

" فهم القصد " كلمة تستعمل أحياناً كفهم ، بسبب تعارضها مع الانتشار ، ولإلزام بالتواصل كفعل ، يدخل مفهوم (المقصد) ، الذي يفترض فيه التحفيز والتبرير وهذا ما يعرض مفهوم (المقصد) للنقد ، إذ يفترض التواصل كفعل إرادي ، في حين أن الأمر غير ذلك ، ويفترض التواصل كفعل لوعي يندرج مفهومه في علم النفس ما يجعله غير بسيط. يعالج المقصد من زاوية أصوله التي تسمح بإدراك الفعل كنية ، تتمركز بين نمطي وجود التقدير – الإنجاز.⁽⁸⁾

تستعمل كلمة المقصد للفهم بسبب تداولها كثيراً ، وتستعمل كفعل للمعرفة بكل ما يحيط بنا. يتوسّع معنى المقصد بالتحفيز أو بتبرير الكلام والأفعال ، وهنا يصبح فعلاً إرادياً لأن المقصد يفترض في معناه ، أن التواصل هو فعل يعود إلى إرادة الشخص ، وهذا الأمر يعني أنه من المفروض التواصل للفهم وإدراك الأفعال إذا دخلت في علم النفس وهذا يجعله معقداً ، ثم إنه يدرس المقصد من الجهة الظاهرية التي تقوم بفهم الكلام والأفعال بنواياها.

لقد أصبحت مقاصد المتكلم مؤشرات حاسمة في عملية التأويل ، ومثل إلغاؤها إلغاء جزء معتبر من معمار المعنى النصي ، إن لم يكن إعداماً مطلقاً له. فهي حاكمة وموجهة ، ومن ثم تصبح وظيفة المؤول حينئذ هي السعي لاكتشاف مقصد المتكلم واعتباره محدداً للتأويلات المقبولة ، ومعنى النص ينبغي النظر إليه في صلته بمقاصد المتكلم ، كما أن اعتبار المقاصد يحد من سلطة المؤول في إملاء أهوائه وتصوراتهِ على النص.

3-3: الربط بين المعاني:

والجدير بالذكر أن المقاصد التي يسعى المتكلم لتحقيقها لدى السامع هي التي تقرض ، أو تحدد مسار الاستراتيجية التي سيتبعها ؛ إن كانت استراتيجية توجيهية ، أو تلميحية ، أو إقناعية ، حتى تلتقي مقاصد الخطاب مع فهم المرسل إليه ، وهذا يقود إلى أن بعض أنواع الخطاب مختلف ومغلق ، يمعن في التخفي والمراوغة ، ويحمل دلالات بعيدة تتطلب قدرات تحليلية أعلى ، وفهما لطبيعة العلاقات بين مستويات البناء اللغوي أكبر ، من أجل كشف مقاصدها ودلالاتها للمستمع.

3-4: التأويل والتفسير:

التأويل تجاوز المعنى الظاهر للوصول إلى المعنى الخفي والغرض التّهائي من الخطاب ، فعملية الفهم عملية عقلية وليست مجرد فهم الكلمات ، وتتضمن تفاعل المتلقي مع النصّ لتفكيك شفراته اللّغوية ، واستخلاص المعاني الظاهرة والباطنية ، معتمداً على السياق المحيط ، ومعارفه السابقة ، والقواعد اللّغوية ، والفلسفية ، والثقافية للوصول إلى التواصل الفعّال وتحقيق غاية المرسل ، وهي أساس لتحليل الخطابات بمختلف أنواعها.

يمثّل التأويل منتهى رسالة الكلام وغرضه الإبلاغيّ ؛ فالمقاصد والأهداف هي المحصل التّهائيّ من مراد المتكلّم الخاصّ من التّركيب ، الذي أنشأه حذفاً وذكراً ، وتقديماً وتأخيراً مراعيّاً فيه أحوال مخاطبه وعلمه ومعرفته المسبقة بفحوى الكلام⁽⁹⁾

أما التّفسير فهو عمليّة مستقلّة عن الفهم ويأتي بعده ، ولا يتمثّل دور المتلقّي فيها في تبين المعنى الذي حصّله في المرحلة السابقة ، وشرحه ونقله للآخرين بلغتهم ، فيحقّ له في هذه العمليّة أن يستعمل جميع المصطلحات التي تخدمه في هذا إطار ، وإن لم يستعملها المؤلّف ، ويطلق على هذه العمليّة «المهارات التّوضيحيّة» أي شروع القارئ بتوضيح ما فهمه من النصّ للآخرين⁽¹⁰⁾ كيف كان ، يتّضح من ذلك ارتباط الفهم بالمعنى اللفظي .

4. خاتمة: خلاصة القول إنّ دراسة المعنى تتطلّب تحليلاً واعياً للسياقات والمواقف التي ترد فيها الألفاظ ، ومسألة القصد والمعنى -من ناحية عدم مطابقة المقاصد لمعاني الخطاب الحرفية- استنتاج المعاني التي يقصدها المتكلم ، والتي لا تكون ظاهرة في خطابه ، بهوجب الاستدلال التخاطبي وتبعاً لسير التخاطب وملاساته. والسياق له أثر كبير في تحديد معنى الكلمة ، بواسطة القرائن المسوقة داخله ، إذ لا تتحدد قيمة أيّ عنصر لغوي نهائياً وكلياً إلا من خلال سياقه وما يحيط به من ألفاظ الى جانب أنّه يحدد طبيعة استعمال الكلمة بين دلالاتها الموضوعية ، فالكلمات المتعددة الدلالات لا يظهر معناها سوى إذاحدده سياق النصّ ، فالكشف عن المعنى لا يكون إلاّ بوضع الألفاظ في سياقات مختلفة ، إذ يتحصّل المعنى بحكم العلاقة بين الألفاظ وما يجاورها.

5- مصادر البحث ومراجعته:

- 1- إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط 3 ، 1976 .
- 2- جون لاينز: اللغة والمعنى والسياق ، ترجمة عباس صادق الوهاب ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ،

ط ، 1987 .

- 3- خولة طالب الإبراهيمي ، مبادئ في اللسانيات ، ط 2 ، الجزائر: دار القصبة للنشر ، (2006) ،
 - 4- سعيد علوش ، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط 1 ، 1985 ،
 - 5- الشريف الجرجاني ، التعريفات ، دار الفضيلية القاهرة 174/4 .
 - 6- طاهر حمودة ، دراسة المعنى ، الدار الجامعية ، مصر ، 1983 .
 - 7 عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ط 1 ، دار الكتاب الجديد ليبيا ، 2004 ، ط 1
 - 8 عفيف دمشقية احتمالات المعاني في بعض التراكيب العربية ، مجلة اللسان العربي ، جامعة الدول العربية ، الرباط ، المملكة المغربية ، م : 19- ح : 1 ، س : 1402 هـ - 1982.
 - 9 علي بن موسى بن محمد شبير ، إرادة المتكلم ومقاصد المتكلم في كتاب سيبويه ، مجلة اللسانيات العربية ، العدد الرابع ، 2016.
 - 10 غادامير ، تجلي الحميل ، تحرير روبرت برناسكوني ، تر سعيد توفيق ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة 1997 ،
 - 12- محمد عبد المطلب ، البلاغة والاسلوبية مكتابة لبنان ناشرون ، القاهرة ، 2005 .
 - 13 - محمد محمد يونس تحليل الخطاب وتجاوز المعنى. نحو بناء نظرية المسالك والغابات علي دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ، ط (1) ، عمان-الأردن ، 2016 م.
 - 14 - محمود أحمد نخلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية ، 2002
 - 15- مصطفى حميدة ، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، ط 1 ، 1997
 - 16- يعقوب أركيهوصلا أسامة البرامج الحوارية التلفازية في ضوء نظرية غرايس مقاربة تداولية ، الآداب للدراسات اللغوية والأدبية ، (1)5 ، 2023
 - 17- يوسف القرضاوي من محاذير التفسير سوء التأويل لمجلة إسلامية المعرفة ، العدد (8) ، 1997م ، ص 109.
- 6- الهوامش والإحالات:**

¹ : عبد الهادي بن ظافر الشهري (2004) ، استراتيجيات الخطاب ، ط 1 ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ص 180.

² : يعقوب أركيهوصلا أسامة البرامج الحوارية التلفازية في ضوء نظرية غرايس مقاربة تداولية ، الآداب للدراسات اللغوية والأدبية ، (1)5 ، 2023 ، 548-579.

- ³ : محمد محمد يونس تحليل الخطاب وتجاوز المعنى. نحو بناء نظرية المسالك والغايات علي ، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ، ط (1) ، عمان - الأردن ، 2016م
- ⁴ : التعريفات ، الشريف الجرجاني 174/4 .
- ⁵ : القرائن النحوية ، (رسالة ماجستير) : ص 4 .
- ⁶ : إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط 3 ، 1976 . 213.
- ⁷ : عبد الجليل مرتاض ، مباحث لغوية في ضوء الفكر اللساني الحديث ، منشورات ثالة ، الجزائر ، ط 1 ، 2003 ، ص: 9
- ⁸ : سعيد علوش ، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط 1 ، 1985 ، ص 177-178.
- ⁹ : علي بن موسى بن محمد شبير ، إرادة المتكلم ومقاصد المتكلم في كتاب سيبويه ، مجلة اللسانيات العربية ، العدد الرابع ، 2016.
- ¹⁰ : أبو زيد حامد ، اشكالية المعنى عند العرب المعاصرين المركز الثقافي العربي ، الرباط ص 46